النهج التشاركي في إصلاح المناهج الأكاديمية - دراسة حالة كلية طب الأسنان في جامعة دمشق - سوريا*

محمد كيال[1]
ميسون دشاش[2]

ملخص

في عام 2005، أصدر مجلس التعليم العالي في وزارة التعليم العالي السورية قراراً يطالب الجامعات العامة بإجراء تقييم ذاتي للعمليات الأكاديمية بهدف تحسين نوعية التعليم العالي في سوريا. وقد ترجمت جامعة دمشق مفهوم «جودة التعليم العالي» على أنه يعني «تلبية احتياجات الجهات المعنية بعمليات التعليم والمتأثرين بها». بناء على ذلك، شرعت الجامعة في عام 2006 في إصلاح الجوانب الأكاديمية والإدارية وجوانب توعية المجتمع من التعليم العالي. وقد تمت هذه العملية بمشاركة من الطلاب وأعضاء الهيئة الأكاديمية والموظفين الإداريين والجهات المعنية الخارجية على مستويين. فعلى مستوى الجامعة، أجريت عمليات مسح واسعة النطاق، ووضعت خطة إستراتيجية تقوم على إعادة تعريف رسالة الجامعة. أما على مستوى الكليات، فيجري حالياً تقييم مفصّل للوضع الراهن في أربع كليات رائدة. كما يجري في هذه الأثناء، تقييم للإتجهات في المجالات الأكاديمية ولأفضل الممارسات في التعليم والتعلم في البلدان الرائدة من كافة أنحاء العالم. وستستخدم النتائج في تحديد التوجهات المستقبلية لإصلاح المناهج الدراسية وفقا للتدابير التي أكدتها الخطة الاستراتيجية. وتعرض هذه الورقة النهج التشاركي وممارسات الحوكمة التي طورت لعمليات الإصلاح التي نفذت لإعادة تحديد رسالة الجامعة ووضع خطة استراتيجية على مستوى الجامعة ككل، كما تعرض النتائج التي تحققت في كلية طب الأسنان من حيث رسالة الكلية، وأهداف البرامج، ونتائج التعلم المتوخاة. والهدف من هذا العرض هو التدليل على أهمية مشاركة مختلف الجهات المعنية وأصحاب المصلحة لتحقيق إصلاح شامل للمناهج الدراسية الذي يمكن القيام به في المرحلة التنفيذية في بيئات مؤسسية وقانونية معقدة.

* مترجم عن الإنكليزية.

[1] أستاذ مساعد في كلية الهندسة المدنية، ومدير مركز ضمان الجودة في جامعة دمشق، دكتوراه في الهندسة المدنية من جامعة تكساس في أوستن، الولايات المتحدة الأميريكية (1991)، البريد الإلكتروني: mohamad.kayyal@qa-du.com

[2] مدرسة ومديرة مكتب ضمان الجودة في كلية طب الأسنان في جامعة دمشق، دكتوراه في طب أسنان الأطفال من جامعة مانشستر، المملكة المتحدة (2005)، البريد الإلكتروني: mayssoon.dashash@qa-du.com

أولاً: السياق العام

عام 2005، قام مجلس التعليم العالي في وزارة التعليم العالي في سوريا بمبادرة دعا فيها كل الجامعات الحكومية إلى أن تجري عملية تقييم ذاتي لبرامجها الأكاديمية تحقيقاً لأهداف ثلاثة: (1) تقييم أداء مساراتها الأكاديمية والإدارية؛ (2) تسليط الضوء على مواطن الضعف من أجل إعداد استراتيجيات مستقبلية للتحسين؛ ثم (3) وضع معايير لتقييم الأداء (مجلس التعليم العالي، 2005). بحلول العام 2007، كانت موجة من التطورات ووتيرة متسارعة من التغيرات قد حصلتا كجزء من الإصلاحات التي أجرتها الحكومة في التعليم العالي، وهي تتضمن تنفيذ قانون معدل للتعليم العالي؛ وخطة تنفيذ استراتيجية في الوزارة ترتكز على الخطة الخمسية العاشرة (هيئة تخطيط الدولة، 2006)؛ ومبادرات جديدة من الوزارة ومنظمات أخرى؛ ونتائج عمليات التقييم الذاتي التي أجرتها الجامعات، وقد بدأت تظهر تبعاتها على السياسة الوطنية. وأدى ذلك إلى نقاش مستفيض على المستوى الوطني تمحور حول تحديد الجودة في التعليم العالي ومعناها.

ثانياً: تحديد الجودة في التعليم العالي

من أجل تحديد الجودة، كان لا بدّ لجامعة دمشق من الإجابة عن سؤالَين أساسيين: مَن الذي تهمه جودة الجامعة؟ ومَن يستطيع أن يحكم على جودة الجامعة؟ في العام 2008، وبعد استشارة العديد من أصحاب المصلحة، بمن فيهم طلاب، ومتخرجون، وكوادر الجامعة، وموظفون ومعاهد ومؤسسات أخرى (مركز ضمان الجودة، 2007)، توصلت الجامعة إلى خلاصة مفادها أنه ما من معايير موضوعية لتحديد الجودة. وقد بيّن الواقع أن مختلف مجموعات الجهات المعنية مالت إلى التشديد على أوجه لجودة الجامعة تختلف مع اختلاف مصالحها الخاصة. ونتيجة لذلك، استخدمت كل مجموعة مفهومها الخاص لتحديد الجودة. فمفاهيم مثل الامتياز، والملاءمة للهدف، والتوافق مع الهدف، والامتثال، ورضى الزبون، والتحويل، والقيمة لقاء المال، كلها ذُكرت بشكل أو بآخر.

ثالثاً: نهج تشاركي لبلورة بيان رسالة الجامعة

لقد أنتجت المشاورات والاستطلاعات التي أُجريت مع الجهات المعنية توليد كمٍّ غير مسبوق من المعلومات، وأثمرت تحليلاً معمقاً للوظائف الأكاديمية والإدارية التي تؤديها جامعة دمشق، وللتأثيرات الاجتماعية المهمة ذات الصلة التي تنعكس على جودة التعليم العالي. وأدت هذه المكتشفات دورها في عملية صياغة بيان الرسالة وفق مقاربة منهجية كما صُورت في الرسم البياني رقم 1.

كانت المنهجية المعتمدة في الاستطلاع عبارة عن نهج تشاركي يقوم على تسليط الضوء على سياسات وممارسات محددة تكتسي أهمية خاصة، وذلك من أجل إظهار تأثيرها على الجودة في التعليم العالي. وتناولت الاستطلاعات وظائف أكاديمية وإدارية مهمة وتأثيرات اجتماعية. وأُجريت الاستطلاعات مع طلاب؛ وأعضاء الهيئة التعليمية؛ ومجموعات من أصحاب المصلحة الخارجيين الأساسيين تمثلوا بالمتخرجين وأهل الطلاب وأرباب عمل المتخرجين. كما عُقدت اجتماعات لمقابلة مجموعات من الأقسام الإدارية في الكليات والمديريات الجامعية. وفي المحصلة، شارك في هذه العملية، ما بين 2006 و2007، حوالي 8300 طالب، و700 أستاذ، و160 عنصراً من الأقسام الإدارية و150 ممثلاً عن أرباب العمل.

الرسم البياني رقم 1: مقاربة منهجية اعتُمدت من أجل إصلاح المناهج التعليمية

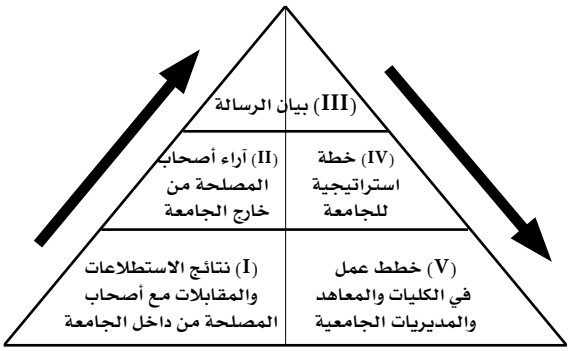

وفرت نتائج الاستطلاعات إثباتاً واضحاً على وجود مسائل تشكل تحديات تتطلب اهتماماً مباشراً، لا سيما في مجالات التعليم والتعلم، وفي إدارة الموارد. ومن جهة ثانية، أبرزت نتائج الاستطلاعات نواحي إيجابية في ما يخص المسؤولية الاجتماعية، مثل استعداد أصحاب المصلحة للمشاركة بعبء تحسين نوعية التعليم العالي في سوريا، ورضاهم عن جامعة دمشق واعتزازهم بها.

لقد أعطت قاعدة الأدلة التي أمنتها الاستطلاعات معلومات كافية لكي تعيد الجامعة تحديد بيان رسالتها وتبلور مجموعة من الأهداف تنتج عنها خطة استراتيجية وجدول زمني للتنفيذ. كما أنها قدمت خط أساس يمكّن الجامعة من قياس تقدم التحسينات المبتغاة وآثارها. ودعمت قاعدة الإثبات هذه أيضاً عملية مشاورات شملت 80 من المعنيين من داخل الجامعة وخارجها، وهم يشكلون مجموعة منوعة من الأشخاص يمثلون شرائح اجتماعية اقتصادية وثقافية وسياسية مختلفة في سوريا.

ونتج عن هذه العملية وضع بيان رسالة يركز على البرامج الأكاديمية من أجل دعم التطور الاقتصادي والاجتماعي في سوريا، ويشدد على الحاجة إلى الاستثمار في العنصر البشري والتطوير المؤسساتي والشراكات الاستراتيجية. وقد اختيرت كلمات بيان الرسالة بشكل يحدد فيه التوجه، ويُدعى إلى التوافق والإجماع ويوحَّد أعضاء الجامعة. وكانت هذه نقطة أساسية بما أن بيان الرسالة المحدد من جديد يشكل نقطة انطلاق نحو تحديد أهداف التطوير، ونقطة مرجعية لتقييم النجاح والأداء. وينص بيان جامعة دمشق على ما يلي: تسعى جامعة دمشق إلى تعزيز التميز في البحث العلمي وفي البرامج التعليمية المرتبطة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في سورية. كذلك تهدف الجامعة لتخريج طلاب قادرين على المنافسة في أسواق العمل المحلية والإقليمية، ومؤهلين لمتابعة تعلمهم وتطورهم المهني. وتقوم الجامعة بذلك عبر الاستثمار في العنصر البشري والتطوير المؤسساتيّ وكذلك من خلال الشراكات الاستراتيجية الهادفة إلى دعم البحث العلمي والتعليم الجامعي، وتحسين فرص التعلّم من خلال ربط الجامعة بالمجتمع المحلي.

قُدم بيان الرسالة في مرحلة تالية إلى مجلس الجامعة من أجل مراجعته والموافقة عليه. وفي آذار/ مارس 2007، أقرّ مجلس الجامعة بيان الرسالة، وبُدئ العمل على بلورة الخطة الاستراتيجية اللازمة من أجل تحقيق أهدافه الاستراتيجية.

رابعاً: بلورة خطة الجامعة الاستراتيجية

لقد جاءت الخطة الاستراتيجية لجامعة دمشق نتيجة للتقييم الذاتي الذي بدأ في العام 2006، والمشاورات الواسعة مع الممثلين الأساسيين عن الكليات والأقسام الادارية والمديريات الجامعية. وعُقدت على الأقل أربع حلقات عمل سنة 2007 لأكاديميين وإداريين أساسيين على مستوى الكليات من أجل مناقشة مضامين الخطة. والهدف الأساسي للخطة هو تطوير الجودة للنشاطات المختلفة في الجامعة، أما الهدف الثانوي فهو جذب اهتمام جميع أعضاء الهيئة التدريسية والكادر الإداري، وتزويدهم برؤية واضحة حول هذه الخطة بغية المشاركة في الرسالة والرؤية وأولويات التطوير. وبالتالي وُضعت خطة استراتيجية تدمج بيان الرسالة وتجسده في مجموعة من 12 هدفاً استراتيجيا يرتبط باستقلالية الجامعة، وبتحسين العمليات الأكاديمية والإدارية، وبنشاطات التواصل الاجتماعية، وبتطوير منظومة لضمان الجودة تشمل الجامعة كلها. يتألف كل هدف فيها من مجموعة من الإجراءات المرفقة بجدول زمني للتطبيق يمتد من الربع الرابع لعام 2007 وحتى الربع الرابع من 2010. وتحدد الخطة الاستراتيجية مجالات أساسية يجب أن توليها الجامعةُ الأولويةَ في العمل، وتتبنى منهجية مرحلية للانطلاق نحو تحقيق أهداف وتحديات مستقبلية. كما تحدد الخطة مصادر التمويل المحتملة، والدعم التقني اللازم لتحقيق هذه الأهداف (مركز ضمان الجودة، 2007).

تمثل الخطة الإستراتيجية إطاراً مرناً يمكّن الكليات والأقسام الإدارية من صياغة خطط العمل الخاصة بها وتقدير الموارد البشرية والمادية اللازمة للتنفيذ. وقد تبنّى مجلس الجامعة الخطة الاستراتيجية في تشرين الأول/أكتوبر 2007.

خامساً: تطوير إطار نظام ضمان الجودة في الجامعة

إعتمدت الجامعة، من أجل تطوير نظام ضمان الجودة، مقاربة تقوم على أساس إصلاحات السياسة الوطنية الملخصة على أفضل وجه كما يلي (Brown, 2008):

- إقامة أنظمة مستدامة ضمن الجامعة من أجل:
  - تحديد المسؤولية والصلاحية الضروريتين ضمن الكليات والوحدات الأخرى المعادلة لها؛
  - رفع مستوى الثقة بين كل المعنيين بجودة التعليم في جامعة دمشق وبدوائرها الإدارية الداعمة؛
  - ضمان التحسين المستمر.
- في ما يخص الرسالة، أي أن بيان الرسالة في كل كلية يحدد الإعداد المفصل للمواصفات التي تنير بدورها التقييم الذاتي لدرجة النجاح المحقق.
- في ما يخص النتائج، أي أن هذه المواصفات تركز على جودة التعليم وعلى المحصلات.
- ضمان الصلة الوثيقة بالمجتمع والاقتصاد في المناهج ونشاطات البحث الأكاديمية ذات الصلة.
- إستخدام الإطار الوطني ليكفَل أن نظام ضمان الجودة الداخلي الذي تستخدمه الجامعة يضمن ثقة المعنيين.
- تأمين الإرشادات والتدريبات وغيرها من وسائل الدعم ضمن سياسة شاملة للتطوير المهني والمؤسساتي.

سادساً: خطوات التنفيذ في الكليات التجريبية

بعد موافقة مجلس الجامعة على الخطة الاستراتيجية في تشرين الأول/أكتوبر 2007، أنشئ مركز لضمان الجودة مرتبط مباشرة برئيس الجامعة في كانون الثاني/يناير 2008. وتمت إحاطة أعضاء الهيئة التعليمية والموظفين في الكليات ببلورة الخطة الاستراتيجية وبأهدافها وبمضامينها. وطُلب من الكليات أن تعيِّن بنفسها منسقي الجودة لكي يقوموا بمقام مسؤولي ارتباط بين المركز وكلياتهم. فتابع هؤلاء المنسقون عدداً من الدورات التدريبية والحلقات الدراسية الهادفة إلى بناء القدرات من أجل رفع مستوى وعيهم وإدراكهم لأوجه الجودة في التعليم العالي. وفي الوقت عينه، تطوعت سبع كليات لتكون مؤسسات رائدة لتنفيذ الهدف الاستراتيجي الثاني المتعلق بتطوير البرامج التربوية المعتمدة. وبغية تثبيت صحة هذه التعيينات، أجرى مركز ضمان الجودة زيارات فردية؛ أولاً إلى العميد، ثم إلى مجالس الكلية/القسم، وأخيراً إلى أعضاء الهيئة التعليمية لكي يشرح مجدداً هدف الخطة، ويضمن الشعور بأن العملية هي ملك للجميع. وكانت النتيجة انخفاض عدد الكليات الرائدة إلى أربع، هي كليات العلوم (قسم الكيمياء)، وطب الأسنان، والصيدلة والطب البشرى. والهدف من تجارب الكليات الرائدة الأربع هو أن تنير العمليةَ عندما تشارك فيها كليات أخرى بدءاً من السنة الأكاديمية 2009 – 2010.

إعتبر مجلس الجامعة أن الكليات الأربع هي بمنزلة كليات استطلاعية رائدة، وشُكلت أربع فرق عمل. وكان الهدفُ اختبارَ عمليات رائدة من شأنها أن تحوّل البرامج الأكاديمية من التعليم والتعلم القائمَين على المدخلات إلى المناهج القائمة على المخرجات. والتجارب الأولى، التي أُجريت في الربع الأول من العام 2008 في قسم الكيمياء وكلية الصيدلة، أظهرت الحاجة إلى إصلاحات جوهرية في المناهج. ونتيجة لذلك، وُضعت سيرورة لإصلاح المنهاج الأكاديمي وأُعدت للتنفيذ على مرحلتين أساسيتين:

1. دراسة مكتبية يجريها خبير أكاديمي في هذا المجال يأتي من خارج الجامعة بغية تحديد وتحليل برامج أكاديمية مناسبة مختارة بين مجموعة من أفضل الممارسات العالمية التي ترتبط بدول طليعية من مختلف أرجاء العالم، بما فيها أوروبا، والولايات المتحدة الأميركية، وأستراليا، والشرقَين الأقصى والأوسط.
2. تقييم أولي يقوم به فريق العمل من أجل مراجعة بنية البرنامج الحالي وميزات أساسية بما فيها تحليل سوات (تحديد مواطن القوة والضعف والفرص والمخاطر). وتتضمن المراجعة تقييم بيان الرسالة الذي وضع بالتشاور مع أعضاء الهيئة التعليمية؛ وتقييم المنهاج الحالي؛ وتقييم النشاطات البحثية؛ وتحليل حاجات السوق؛ وتقييم نشاطات تجريها الكلية حالياً وتتعلق بالتواصل مع المجتمع.

نُشرت نتائج التقييم في الكليات الرائدة، وعرضت في مرحلة تالية في اجتماع عام في الكلية. وكان الهدف من الاجتماع تجنيد أعضاء من الهيئة التعليمية لحضور ورشة العمل الخاصة بالجهات المعنية في الكلية. وفي هذه الأثناء، جُنِّد طلاب متخرجون وغير متخرجين، ودُعيت جهات معنية من خارج الجامعة للمشاركة في ورشة العمل تلك.

نُظمت ورش العمل الخاصة بالجهات المعنية كحدث من يوم واحد، وفيها كانت تُشكل مجموعات عمل ويُطلب منها تقييم بيان رسالة الكلية والتعبير عن آرائها في أربع مسائل أساسية:

1. ميزات المتخرج من الكلية من جامعة دمشق

2. التواصل بين الكلية والمجتمع
3. الاتجاهات الأساسية في الممارسة والتعليم التي يجب إدراجها ضمن المنهاج المخصص للمرحلة الجامعية الأولى في الكلية
4. فرص التطوير المهني المستمر ونقل المعرفة بين الكلية والجهات المعنية

وقد قدمت نتائج ورش العمل الخاصة بالجهات المعنية بينات تسمح بالمصادقة على رسالة الكلية وبإنشاء خارطة طريق من أجل تطوير أهداف ونواتج تعلم جديدة للبرامج.

حالياً، وضع فريق العمل في كل كلية خطة عمل مفصلة تؤمن خارطة طريق لتطوير مواصفات البرنامج والمقررات. وتشدد الخطة على أهمية مصادقة المعلومات المجمعة من الجهات المعنية، لاسيما في مجالات المهارات الشخصية وتلك التي يمكن نقلها. كما أن الخطة تقضي بالبحث عن نماذج مناهج جديدة، وبتنظيم للمناهج يركز على التكامل الأفقي والعمودي بين الحلقات المقررة. كما أنها تتطلب أيضاً تقييم الكليات لمعايير الاعتماد المحتملة وتطويرها نماذج مناهج تستوفي تلك المتطلبات. ومن أجل مساعدة الفرق العاملة في عملها، شُكلت ثلاث فرق دعم في كل واحدة من الكليات بهدف مأسسة العمل في الكلية: فرقة تواصل من أجل نشر الوعي؛ وفرقة تنظيمية من أجل إدخال معايير مؤسساتية؛ وفرقة بناء قدرات من أجل توفير المهارات والدرايات لإتمام المهمات المطلوبة. وفي ما يلي نتائج هذه العملية التشاركية في كلية طب الأسنان.

سابعاً: نواتج العملية التشاركية في كلية طب الأسنان

1. بلورة بيان الرسالة

بعد عرض الخطة الاستراتيجية في كلية طب الأسنان، عُيِّن منسق جودة وشُكِّل فريق عمل يتألف من عشرة أعضاء من الهيئة التعليمية. وقضت أول مهمة أُوكلت إلى فريق العمل بالإشراف على عملية صياغة بيان الرسالة الخاص بالكلية. فأقيمت ورش عمل، وشُرحت عملية بلورة بيان الرسالة إلى أعضاء الكلية. وطُلب من أعضاء الكلية خصوصاً الإجابة عن ستة أسئلة أساسية شكلت دعامة بيان الرسالة:

1) ماذا تفعل الكلية (مثلاً برامج تربوية، أبحاث، الخ)
2) لماذا تقوم الكلية بهذا العمل (مثلاً تلبية الحاجات الاجتماعية والاقتصادية، إعداد متخرجين أفضل لسوق العمل، الخ)
3) مع مَن تعمل الكلية (مثلاً شركاء استراتيجيين، الخ)
4) أين تعمل الكلية (مثلاً في الحرم بشكل أساسي، في مراكز العمل، بشكل موجه نحو المجتمع، الخ)
5) كيف تحقق الكلية أهدافها (مثلاً مسؤولية أكبر للتعلم مع الطلاب، شراكات استراتيجية تعاونية، تعاون، لامركزية، الخ).
6) إلى أيّ مدى تُحقِّق النجاح (مثلاً نموذج الامتياز، الوسط، الخ).

على أساس الإجابات المجمعة من عدد يتراوح بين 30 و70 شخصاً من العاملين في الكلية، بُلور بيان رسالة وافق عليه لاحقاً مجلس الكلية. وهو ينص على ما يلي:

«تسعى كلية طب الأسنان في جامعة دمشق إلى التميز في إعداد طبيب الأسنان ذي الكفاءة العالية

علمياً وفنياً وأخلاقياً، وإلى تعميق الارتباط بالمجتمع من خلال توفير وتطوير الرعاية الصحية المثلى للفم والأسنان لجميع المواطنين. وتقوم الكلية بذلك عبر الاستثمار في العنصر البشري ومن خلال توثيق التعاون مع جميع القطاعات المعنية بالأمور الصحية ومن خلال الشراكات الاستراتيجية الهادفة لتطوير التعليم ودعم فرص التعلم والتطور المهني. كما تسعى إلى التميز في البحث العلمي بما يتناسب مع احتياجات المجتمع وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في سورية والوطن العربي ويواكب التطور العالمي». وأُقر البيان لاحقاً في اجتماع الجهات المعنية ونال الثقة بموافقتهم جميعاً.

2. تقييم الوضع الحالي

حُدد الوضع الحالي في الكلية من خلال جمع المعلومات والبيانات العامة المتعلقة بالكلية والعاملين فيها والطلاب. كما أجريت مراجعة للمنهاج الدراسي الخاص بطب الأسنان المعتمد حالياً. وجرى تقييم لائحة مواضيع ومهمات مطلوبة من الطلاب، وبيانات تتعلق ببرنامج الطلاب في المرحلة الجامعية الأولى والثانية (الدراسات العليا)، مثل عدد المتخرجين، ومستلزمات القبول، ومستلزمات الانتقال إلى مستويات ودرجات أعلى. وصُممت استمارة تتضمن لائحة بالمهارات الشخصية والمهنية (تشمل الفعالية وتطوير المهارات المستمر لبلوغ معايير التعليم العالي) لخريجي طب الأسنان من أجل تقديم المعلومات الخاصة بحاجات السوق إلى المتخرجين. ويجري الآن تقييم نتائج تحليل حاجات السوق. كما قُيِّم البحث العلمي الذي أجرته كوادر الكلية، وعولجت كل النشاطات المتعلقة بالعلاقة مع المجتمع، وتم تحضير وتوثيق تقرير مفصل يشرح الوضع الحالي والبنية التحتية في الكلية. وقد راجع عميدُ الكلية التقريرَ ووافق عليه.

وعلى التوازي، دعت الكلية خبيراً[3] في التعليم وضمان النوعية في مجال طب الأسنان من كلية كينغ (king's College) من جامعة لندن (University of London) من أجل تقديم تقييم للاتجاهات العالمية في تدريس طب الأسنان، بالإضافة إلى توفير الإرشاد والنصح للفريق العامل في خلال إصلاح المناهج. وأدت النتائج الأساسية لعمليتَي التقييم إلى الاستنتاجات التالية:

- يتألف تعلم طب الأسنان في جامعة دمشق من خمس سنوات من التدريب المهني (قبل الدكتوراه). وتشكل 74 مادة أعمدته الأساسية.
- يتضمن المنهاج عموماً موادّ ترتبط بالعلوم الأساسية وأخرى تتعلق بما قبل الممارسة السريرية في سنوات التخصص الثلاث الأولى، فيما تُعلَّم المواضيع السريرية في السنتَين الرابعة والخامسة.
- يمكن الحصول على التجربة السريرية من خلال ممارسة طب الأسنان في العيادات المختلفة المتواجدة في كلية طب الأسنان. أما الممارسة في عيادات ضمن المجتمع أو عيادات خارجية فتتوفر فقط من خلال مخيمات إنتاجية تُقام لمدة أسبوعين في مناطق تعاني نقصاً في خدمات العناية الصحية.
- تتوفر برامج تبادل الطلاب مع دول مختلفة لطلاب المراتب الأولى كل سنة. وتنظم هذه البرامج من خلال اتفاقات بين جامعة دمشق وجامعات أخرى.
- ما من دراسات تقيّم كفاءة طلاب المرحلة الجامعية الأولى أو طلاب الدراسات العليا ورضاهم.

[3] موّل عمل الخبير من قبل المجلس الثقافي البريطاني (British Council).

وقد تم تصميم استبيانات من أجل التحقيق في الجانب المرتبط بالجودة. ويتم الآن جمع البيانات.

- إن منهاج كلية طب الأسنان هو تقليدي إذ يتمحور حول الأستاذ، ويرتكز على الفرع المعرفي – والمستشفى.
- إن طرائق التعليم والتعلم الجديدة مثل التعلم «المرتكز على الاستقصاء»، والنشاطات «المرتكزة على دراسة الحالات»، والتعلم «بالمقرر المساعد» واستخدام الموارد «المرتكزة على الشبكة الإلكترونية» لا تلعب دوراً كبيراً في التعلم وليست جزءاً من البرنامج.
- مايزال التعلم المرتكز على المشكلة ومقاربات حل المشاكل السريرية في أول عهدَيهما إذ لم يُشدَّد بالشكل الكافي على التعاون ما بين الأقسام.
- لا تشكل مواضيع التقييم النقدي جزءاً من البرنامج.
- ثمة مشاريع ونشاطات بحثية يقوم بها طلاب المرحلة الجامعية الأولى. إنها اختيارية لأن مجلس الكلية قد أنشأ مسابقة البحث العلمي السنوية من أجل تشجيع الطلاب على إجراء الأبحاث.
- إن البحث الذي يُجرى مهم، وجعبة الأبحاث قادرة على تعزيز الامتياز، لكن يُنصح بمقاربة استراتيجية.
- تمويل الأبحاث محدود وموجه نحو طلاب الدراسات العليا أكثر مما هو موجه نحو فرق أبحاث تعمل وفق خطة استراتيجية.
- ما من تفاهم سليم بين نقابة أطباء الأسنان في سوريا، والجمعيات السورية الاختصاصية لأطباء الأسنان والكلية من أجل ضمان حوار مستمر يرتبط بتوقعاتهم بالنسبة إلى مهارات المتخرج وكفاءته لممارسة طب الأسنان بشكل آمن في سوريا.
- يتوق عدد من كوادر الكلية إلى تحسين بيئة التعلم لكي ينال الطالب معرفة ومهارات سريرية أفضل، وذلك من خلال الانخراط بالمنهجية التربوية الحديثة.
- من الضروري تعزيز دور الطلاب والعاملين في مجال طب الأسنان في إصلاح المنهاج، وتنظيم اجتماعات أخرى مع الجهات المعنية قبل الانتقال إلى المرحلة التالية.

3. ورشة العمل الخاصة بالجهات المعنية

أُقيمت ورشة العمل المرتبطة بالجهات المعنية صاحبة المصلحة في 27 كانون الثاني/يناير 2009 من أجل مناقشة عملية الإصلاح التربوي في كلية طب الأسنان. بالإضافة إلى الطلاب وأفراد الكلية، حضر الورشة أيضاً مشاركون مثّلوا وزارة الصحة، ووزارة التعليم العالي، والدوائر العسكرية، ونقابة أطباء الأسنان في سوريا. وقد ناقش الاجتماع بيان الرسالة الذي اعتمدته الكلية ووافق عليه، ثم بدأ بمعالجة المسائل الكبيرة الأربع المرتبطة بإصلاح المناهج.

أكدت نتيجة ورشة العمل الخاصة بالجهات المعنية في كلية طب الأسنان على حاجة المجتمع إلى متخرج في طب الأسنان يناسب القرن الواحد والعشرين، متخرج يستطيع أن يستوفي متطلبات القبول في أهم كليات طب الأسنان في مختلف أنحاء العالم. وشددت الجهات المعنية على الحاجة إلى اتخاذ الكلية الإجراءات الضرورية من أجل تحسين البرنامج المعتمد استجابة للتغيرات المستمرة في المعرفة في ما يخص طب الأسنان؛ والمعدات والتجهيزات؛ ووسائل توفير الرعاية الصحية للفم والأسنان؛

والطلبات على الطلاب والمتخرجين في حقل طب الأسنان؛ وتوقعات المجتمع المتغيرة دوماً من الرعاية الصحية للفم والأسنان. بالإضافة إلى ذلك، أوصلت الجهات المعنية إلى الكوادر في كلية طب الأسنان رسالة تقول بالحاجة إلى معالجة مسألة التطوير التمهّني المستمر، وتحسين أساليب التعليم والتعلم من أجل إنشاء منهاج جديد في طب الأسنان يشدد على طب الأسنان المستند الى البينة.

شكلت هذه المواضيع خارطة طريق للفريق العامل في الكلية في مهمته التالية القاضية بتحديد أهداف البرنامج والنواتج التعلمية المقصودة الضرورية لإنتاج برنامج أكاديمي ملائم للهدف في كلية طب الأسنان في جامعة دمشق.

4. نماذج المناهج والتخطيط

وفّر التقرير الذي أعده الخبير الأكاديمي الخارجي أرضية خصبة لنقاشات داخل الكلية حول وجهة العمل. والمسألة الأساسية التي تُناقَش الآن تتمثل بكيفية اختيار نموذج المنهاج المناسب الذي ينفذ رسالة الكلية على أفضل وجه ومتطلبات الجهات المعنية، ويحقق الامتياز في التعليم كما ذُكر في بيان رسالة الجامعة، وذلك ضمن إطار البيئة القائمة حالياً والقيود الخارجية.

عُرضت الأوراق البحثية التي جمعتها الكلية تحت إشراف منسق الجودة على الموقع الإلكتروني لمركز ضمان الجودة (www.qa-du.com) من أجل تزويد أعضاء الكلية بأحدث المعلومات عن هذا الموضوع. وحتى هذا التاريخ، تصفح الموقعَ الإلكتروني معظمُ أعضاء الهيئة التعليمية في كلية طب الأسنان، وسجل بعض المقالات اطّلاع أكثر من 250 قارئاً عليه. هذا وقد فتحت المعلومات المنشورة الباب أمام مواضيع جديدة لم تُناقَش أبداً مسبقاً في الكلية وبين أعضاء فرق العمل. وتتضمن الأمثلة ما يلي:

- إعلان بولونيا وفضله في تقريب أنظمة التعليم العالي بعضها من بعض وتنسيقها بما يتناسب مع الدول الأوروبية.
- دور «الشبكة الموضوعية لتعليم طب الأسنان» (Thematic Network (TNP) DentEd) الممولة من الاتحاد الأوربي في تقريب المناهج المختلفة في طب الأسنان بعضها من بعض وفي تنسيقها، وفي نقل الخبرة والنشاطات، بما فيها زيارة المواقع وأنظمة ضمان الجودة، إلى «جمعية تعليم طب الأسنان في أوروبا (Association for Dental Education in Europe-ADEE) (Plasschaert et al, 2005).
- النموذج الجديد لبنية المنهاج في طب الأسنان الذي طورته جمعية تعليم طب الأسنان في أوروبا والشبكة الموضوعية لتعليم طب الأسنان (Plasschaert et al, 2006)، وقد نُظِّم بحسب مقررات تتوافق مع النظام الأوروبي للأرصدة المعتمدة (European Credit Transfer System-ECTS) (Plasschaert et al, 2007).
- المتطلبات الـ14 لضمان الجودة في تعليم طب الأسنان التي حددتها جمعية تعليم طب الأسنان في أوروبا والشبكة الموضوعية لتعليم طب الأسنان ، ورزمة الأدوات التي جرى تطويرها لدعم كليات طب الأسنان من أجل تلبية تلك المتطلبات (Jones et al, 2007).
- وثيقة موجز الكفاءات (The Profile Competence Document-PCD) التي تمت مراجعتها عام 2008 ونُشرت على موقع جمعية تعليم طب الأسنان في أوروبا بعد استشارة نقابات طب

الأسنان المحلية والأوروبية (Cowpe et al, 2008).

- مواصفات طبيب الأسنان الأوروبي الجديد وانعكاساتها على مضامين منهاج كلية طب الأسنان في ما يخص تخريج طبيب أسنان:
  - تلقى تعليماً شاملاً، أكاديمياً وطبياً يتعلق بطب الأسنان، وهو قادر على العمل في كل مجالات طب الأسنان السريري.
  - مدرّب في مجال العلوم الطبية الحيوية.
  - قادر على العمل مع محترفين آخرين في مجال طب الأسنان والرعاية الصحية ضمن إطار نظام الرعاية الصحية.
  - يتمتع بمهارات تواصلية جيدة.
  - مهيّأ لإجراء تطوير مهني مستمر يدعم مفهوم التعلم مدى الحياة.
  - قادر على ممارسة طب أسنان شامل، مبني على البينات، من خلال منهج حل المشاكل، مستخدما مهارات نظرية وعملية.
- إمكانية:
  - تغيير بنية المنهاج التقليدي وتحقيق تكامل بين العلوم الأساسية والطبية وتلك المتعلقة بطب الأسنان عمودياً وأفقياً في آن واحد (Snyman and Kroon, 2005)؛
  - تقديم تعليم يتمحور حول الطالب (Oliver et al, 2008) يستطيع أن يلهم الطلاب لكي يصبحوا متعلمين طوال حياتهم؛
  - اعتماد مستلزمات المنهاج الدراسي التي توصي بها جمعية تعليم طب الأسنان في أوروبا والشبكة الموضوعية لتعليم طب الأسنان، وقد صيغ منها بعض الاقتراحات.

5. المهمات المستقبلية

سوف تترافق بلورة نموذج منهاج مناسب مع برامج لبناء القدرات لكل أعضاء الكلية من أجل إدخال مفهوم تطوير النواتج التعلمية المقصودة على مستوى المقرّر. وسيتبع ذلك تعليمات مفصلة من أجل إكمال مواصفات المقررات، بما فيها طرق تعليم وتقييم النواتج التعلمية المقصودة المبلورة الضرورية لتحقيق أهداف البرنامج. ويؤمل أن تكون هذه المهمات قد انتهت في نهاية صيف 2009.

ثامناً: خلاصات

أتاح النهج التشاركي الذي اعتُمد في جامعة دمشق في أوائل العام 2006 فرصة فريدة لإشراك كل الجهات المعنية في عملية الإصلاح. إنها إشارة إلى حسن الإدارة. وقد أنشأ هذا النهج شعوراً لدى كوادر الجامعة والطلاب بأن العملية هي ملك لهم، وشجع على الالتزام والعمل التطوعي. وكان رد فعل الجهات المعنية الخارجية داعماً للغاية. وتعقد الجامعة اجتماعات عامة للجهات المعنية في بداية كل عام بغية شرح عملية الإصلاح التي تجريها، وإنجازاتها والتحديات. وفي الاجتماع الثالث الذي عقد في كانون الثاني/يناير 2009، حضر أكثر من 270 مشاركاً من أصل 400 مدعو. وكان هذا العدد أكبر من ذاك المسجل العام المنصرم بنسبة 100 %.

على مستوى الكليات، يقدم النهج التشاركي لأعضاء الهيئة التعليمية فرصة المشاركة بفعالية في تحسين بيئة العمل الخاصة بهم. واعتُمد نهج فريد من أجل تشجيع مشاركة الجميع، فيما طُلب من المشككين الحكم على العملية في المستقبل والانخراط فيها عندما يعتقدون أن النجاح سيتحقق. لم يصدر أي توجيه من رئيس الجامعة أو عميد الكلية لإجبار أي كان على المشاركة في هذه العملية، لكن مركز ضمان الجودة ومنسق الجودة في الكلية بذلا جهوداً كبيرة لإقناع الناس بالانضمام إلى الفرق العاملة والمشاركة بفعالية في عملية الإصلاح. في النهاية، من الواضح تماماً أن المهمات المستقبلية لا تُحقَّق من دون مشاركة كاملة من كل أفراد الكلية.

أخيراً، فتح النهج التشاركي الأبواب أمام نقاشات صريحة حول مسائل ما كان أحد ليثيرها في الماضي. إن عملية بولونيا، والمناهج التكاملية، والتعليم غير التقليدي والأساليب التعلمية، وطرائق التقييم البديلة، والتعليم والتعلم المتمحورَين حول الطالب، وعمليات التقييم الذاتية، والتحكيم ثنائي الاتجاه ، تشكل كلها بعضاً من المفاهيم الجديدة التي أُدخلت، وهي تغيّر الثقافة الأكاديمية في جامعة دمشق. إن الطريق أمام الجودة طويل، لكن رحلة الألف ميل تبدأ بقطع الميل الأول.

كلمة شكر

يوّد الكاتبان أن يعبرا عن خالص شكرهما لرئيس جامعة دمشق، الأستاذ الدكتور وائل معلا؛ ولعميد كلية طب الأسنان الأستاذ الدكتور محمد يوسف، ولأعضاء فرق العمل في كلية طب الأسنان الذين أتاحوا تحقيق التقدم في عملية الإصلاح التربوية بفضل تعاونهم وحماسهم. كما نود أن نشكر الخبيرَين في مجال ضمان الجودة العاملَين من خارج الجامعة، السيد آرثر براون (Arthur Brown) والبروفسورة إليزابيث دافنبورت (Elisabeth Davenport) لما قدماه من إرشاد ونصح واقتراحات.

المراجع

Brown A. (2008). Guidelines for Strategic Planning. *Centre for Quality Assurance*, Damascus University.

Centre for Quality Assurance (2007). *Evaluation of Pedagogic and Administrative Functions, and Mission Statement and Strategic Plan for Damascus University*. Damascus University.

Cowpe, J. Plasschaert, A. Harzer, W. Vinkka-Puhakka, H. Walmsley, A.D (2008). Profile and Competences for the European Dentist - update http://www.adee.org/cms/uploads/adee/01%20TF_I_PCEDupdateAug081.pdf (accessed March 14, 2009).

Higher Education Council (2005). *Self-Evaluation Guide for the Syrian Universities*. Ministry of Higher Education, Syrian Arab Republic.

Jones, M.L. Hobson, R.S. Plasschaert, A.J.M. Gundersen, S. Dummer P,Oliver, R. Kersten, H. Vinkka-Puhakka, H. Alpasan, G. Bearn, D. Cema, I et al.(2008). Curriculum Structure: Principles and Strategy. *European Journal of Dental Education* 12 (Suppl. 1), 74–8.

Oliver, R, Kersten, H. Vinkka-Puhakka, H. Alpasan, G. Bearn, D. Cema, I. Delap, E.Dummer, P. Goulet, J.P. Gugushe, T. Jeniati, E. Jerolimov, V. et al (2008) .Curriculum Structure: Principles and Strategy. *European Journal of Dental Education 12 Suppl. 1*, 74-84

Plasschaert, A. J. M. Holbrook, W. P, Delap, E. Martinez,C. Walmsley, A. D.(2005). Profile and Competences for the *European Dentist. European Journal of Dental Education* 9, 98–107.

Plasschaert, A.J. Lindh, C. McLoughlin, J. Manogue, M. Murtomaa, H. Nattestad, A. Sanz, M. (2006). Curriculum Structure and the European Credit Transfer System for European Dental Schools: Part I. *European Journal of Dental Education* 10, 123–130.

Plasschaert, A.J. Manogue, M. Lindh, C. McLoughlin, J. Murtomaa, H. Nattestad, A. Sanz, M. (2007). Curriculum Content, Structure and ECTS for European Dental Schools. Part II: methods of learning and teaching, assessment procedures and performance criteria. *European Journal of Dental Education* 11,125-36.

Snyman, W.D. Kroon, J. (2005). Vertical and Horizontal Integration of Knowledge and Skills - A Working Model. European Journal of Dental Education 9, 26–31.

SPC (2006). The 10th Five Year Plan for Economical and Social Development in Syria: Chapter 19: *Education Sector and Scientific Research*. State Planning Commission, Council of the Prime Ministry, Syrian Arab Republic